ذات الهمـــة

عصام بن محمد الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

تـقديـم

الحمـد لله الـذي مـنَّ علينـا بالإيمـان والإسـلام... وتفضـل علينـا ببيـان الشـرائع والأحكام، ووعد من أطاعه واتبع رضاه الثواب في دار السلام، وأوعد من عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلاَّم.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام.

(إن من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة.

وكبر الهمة يجلب ـ بإذن الله ـ خيرًا غير مجذوذ، ويُجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل، فلا تُرى واقفًا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور، "إن الله يحب معالي الأمور ويكره سَفْسَافَها".

إن التحلي بكبر الهمة يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان والتملق والمداهنة.

فارسم لنفسك كبر الهمة، ولا تنفلت منها، وقد أومأ الشرع في فقهيات تلابس حياتك لتكون دائمًا على يقظة من اغتنامها ومنها: إباحة التيمم للمكلّف عند فقد الماء، وعدم إلزامه بقبول هبة ثمن الماء للوضوء، لما في ذلك من المنة التي تنال من الهمة منالاً)[1].

إن المرأة الصالحة ذات الهمة العالية هي المرأة التي تهتدي بسنة النبي ﷺ وتتخذ من النماذج الشامخة لنساء المسلمين في علو همتهن القدوة والمثل، حتى لا تركن إلى

(١) حلية طالب العلم، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ص١٣٥ بتصرف.

الدنيا ومن ثمّ إلى الكسل والعجز.

لماذا تفتر همم الصالحات إذا فُتحت عليهن الدنيا؟!

لماذا تفتر همم الصالحات بعد الزواج وإنجاب الأولاد؟!

أين الهمم العالية التي لا ترضى بسوى الله تعالى بديلاً؟

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (علو الهمة: أن لا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلاً منه، ولا تبيع حظها من الله، وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن "الهمة" كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان؛ فإن الآفات قواطع وجواذب، وهي لا تعلوا إلى المكان العالي فتجتذب منه، وإنما تجتذب من المكان السافل، فعلو همة المرء: عنوان فلاحه، وسفول همته: عنوان حرمانه)[1].

من هنا كانت أهمية الهمة العالية، وخطر الهمة المتدنية، ولذا كانت هذه الرسالة ضمن هذه السلسلة المباركة ـ إن شاء الله ـ حتى تكون علو الهمة من سمات المرأة الصالحة بحق، حتى وإن فترت فإلى هدي النبي ﷺ لا إلى سفاسف الأمور.

وأسأل الله تعالى أن ينتفع بها كل من يقرأها وكل من تقرأها، وأن يرزقني في الآخرة أجرها وثوابها. إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

يا رب! ما لي غير لطفك ملجأ ... ولعلَّني عن بابه لا أطرد

يا رب! هب لي توبة أقضي بها ... دَيْنًا عليّ به جلالك يشهد

أنت الخبير بحال عبدك إنه ... بسلاسل الوِزر الثقيل مقيد

---

(١) مدارج السالكين (٣/١٧١، ١٧٢).

أنت المجيب لكل داعٍ يلتجـــي وأنت المجيب لكل من يستنجد

من أي بحر غير بحرك نســـتقي ولأيّ باب غير بابـــك نقصـــد

وصلى اللهم على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

عصام بن محمد الشريف

الثلاثاء ٢٠ شعبان ١٤٢٢هـ

الموافق ٥ نوفمبر ٢٠٠١م

الحث على علو الهمة

جاءت الآيات من كتاب الله تعالى والأحاديث عن رسول الله ﷺ تحث على شحذ الهمم، وارتياد معالي الأمور، والتسابق في الخيرات، فمن ذلك:

أولاً: في الكتاب الكريم:

قال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣].

وقال سبحانه: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: ١٤٨].

وقال أيضًا: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ} [الذاريات: ٥٠].

وقال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات: ٦١].

ففي هذه الآيات وغيرها في كتاب الله عز وجل تحريض للمؤمنين كي يتنافسوا في أمور الآخرة، فيسارعوا إلى كل ما من شأنه طاعة ورضىً لله عز وجل، فيستغفرون الله تعالى، ويسارعون إلى كل سبيل موصِّل إلى الجنة.

إن المسلمة ذات الهمة العالية لا ترضى بالدون من الأقوال أو الأعمال، ولا يرضيها إلا معالى الأمور.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "من أعمل فِكْره الصافي، دلَّه على طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

ولم أر في عيوب النـــاس عيبًـــا كنقص القادرين علـــى التمـــام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه"[1].

---

(١) صيد الخاطر ص١٨٩.

ثانيًا: في السنة الشريفة:

لقد غرس رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه علو الهمة وحثهم على التسابق إلى المعالي، فكان دافعًا لهم بالأخذ بكل ما يوصلهم ويحقق لهم هذه المكانة العالية الرفيعة.

فمن ذلك قوله ﷺ: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز"(١)، وكذلك: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل"(٢).

وكذلك: "إن الله تعالى يحب معالى الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها"(٣).

وعن العرباض رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس، فإنه سر الجنة"(٤).

ثالثًا: من أقوال السلف:

قال ابن رجب رحمه الله في كتابه "لطائف المعارف": "لما سمع القوم قول الله عز وجل **{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}** [البقرة: ١٤٨]، وقوله: **{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}** [الحديد: ٢١]، فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه، فكان تنافسهم في درجات

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني رقم ٣٨٨ في صحيح الأدب المفرد.

(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٨٩٠.
معالى الأمور وأشرافها: الأخلاق الشرعية والخصال الدينية.

(٤) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٩٢.
وسر الجنة: أي أفضل موضع فيها.

الآخرة واستباقهم إليها، ثم جاء من بعده قوم فعكسوا الأمر، فصار تنافسهم في الدنيا الدنيئة، وحظوظها الفانية".

وقال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة.

وقال رحمه الله أيضًا: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحدٌ فافعل.

أسباب انحطاط الهمم

معرفة هذه الأسباب يبصر المسلمة بطريق الكسالى حتى لا تسلكه، ويقوي عزيمتها للابتعاد عن هذا الطريق، ومن أهم هذه الأسباب:

١ــ الوهن:

وهو كما فسره رسول الله ﷺ: "حب الدنيا وكراهية الموت"[١].

أما حب الدنيا: فرأس كل خطيئة كما في الحكمة المشهورة، وهو أصل التثاقل إلى الأرض، وسبب الاستئسار للشهوات والانغماس في الترف، والتنافس على دار الغرور، حتى تصبح العبادة ثقيلة مملة، وتجد المسلمة لذتها وسلواها في الدنيا وحطامها.

وأما كراهية الموت: فثمرة حب الدنيا والحرص على متاعها، مع تخريب الآخرة.

٢ــ الفتور:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن لكل عمل شِرَّة، ولكل شرةٍ فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك"[٢].

فالنبي ﷺ يذكر لنا أن لكل عمل فترة من النشاط والقوة والهمة العالية، وهذه الفترة يعقبها ضعف وفتور، فإن كان هذا الفتور كاستراحة المقاتل يعود بعدها إلى العطاء والجهاد فقد اهتدى، وما عدا ذلك فقد هلك.

قال ابن القيم رحمه الله: "فتخلل الفترات للسالكين أمرٌ لازم لابد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد ولم تخرجه من فرض ولم تدخله في مُحرم، رُجي له أن يعود

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم ٩٥٨.

(٢) رواه الإمام أحمد وغيره، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم ٢١٥٢.

خيرًا مما كان مع أن العبادة المحببة إلى الله هي ما داوم العبد عليها"[١].

٣ــ إهدار الوقت الثمين:

سواء كان هذا في الزيارات أو السمر أو فضول المباحات أو في أمور مفضولة.

يقول ابن عقيل الحنبلي واصفًا أهمية استثمار الزمان: "إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطَّل لساني عن مذاكرةٍ ومناظرةٍ، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح".

ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك؟ قال: أصدقكم؟ كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم.

وقال بعض السلف: "إذا طال المجلس صار للشيطان فيه نصيب".

فالمسلمة التي لا تعرف للوقت قيمته وخطره فإن ذلك يحط من همتها وعزيمتها، فلتحذر المسلمة ضياع وقتها، ولتستفد من ساعات ليلها ونهارها.

٤ــ الكسل:

(وهو صفة مستحكمة في كثير من الخلق، تدعوهم إلى القعود عن المعالي والفضائل والرضا بالدون من كل شيء.

الكسل أكثر منشئة من الترف والدَّعة، والتبسُّط إلى الدنيا، والعبَّ من شهواتها وملاذها، وعدم الالتفات إلى ما يخالف ذلك أو ينغص عليه.

والكسل مؤدٍّ إلى العجز ولابد، حيث إنه يمنع المرء من الخروج من منزله وحيِّه لغرض الإصلاح والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يمنع المرء من الحركة إلى المساجد وطلب العلم، بل قد يمنعه من الحركة في بيته لتربية أولاده ومراقبتهم،

---

(١) مدارج السالكين (١٢٦/٣).

ومن كان حاله كذلك فهو العاجز عجزًا كليًا ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ)[١].

روي أن رجلاً قال لخالد بن صفوان: ما لي إذا رأيتكم تذاكرون الأخبار وتدارسون الآثار وتناشدون الأشعار وقع عليَّ النوم؟ فقال: لأنك حمار في مسلاخ إنسان.

وقد ترى الرجل موهوبًا ونابغة، فيأتي الكسل فَيُخَذِّل همته، ويمحق موهبته، ويطفئ نور بصيرته، ويشل طاقته.

قال الفراء رحمه الله: لا أرحم أحدًا رحْمتي لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل يفهم ولا يطلبه. وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم.

قال المتنبي:

ولم أر في عيـــوب النـــاس عيبًـــا كنقص القادرين على التمام)[٢]

ومن مظاهر الكسل: السيئة أن تصاحب المسلمة من همتها ضعيفة، وتخلد إلى الكسل والراحة، والصاحبة بغيرها تتأثر، لذا ينبغي على المسلمة العاقلة أن تدقق في اختيار الصاحبة ذات الهمة العالية، وتبتعد عن الكسل وأهله.

٥ـــ التسويف بالتمني:

إن من أسباب انحطاط الهمم وأخطرها ركوب سفينة "سوف" والسير بها في بحار التمني، وهو بحر لا ساحل له.

كلما همت نفس المسلمة بخير، أعاقها شيطان "سوف" حتى يفجأها الموت.

كم من واحدة أجَّلت بعض الطاعات حتى تنتهي من دراستها، أو عندما تتزوج، أو عندما تتفرغ من زواج الأبناء، وهي تتمنى على الله الأماني، وهي لا تدري أن أكفانها نسجت بليل، وحتى لو عاشت ربما فترت همتها وضعفت؛ لأنها لم تتعود على علو

---

(١) عجز الثقات، د. محمد بن حسن بن عقيل ص١٠٤.

(٢) علو الهمة، الشيخ محمد بن إسماعيل حفظه الله، ص٣٣٦.

الهمة.

وهل التي تحب الله عز وجل تبقى في النهاية من مفاليس العالم، لا حظ لها في طاعة إلا بما تهوى نفسها ويسع وقتها؟!

هل التي تحب الله عز وجل تعيش في بيت "سوف" تمرح وتفرح حتى إذا جاءها الموت قالت: رب ارجعون؟!

هل التسويف بالتمني من علامات محبة الله عز وجل؟ أم من علامات الجهل بالله تعالى؟!

وعن الحسن قال: "المؤمن من يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال والمؤمن أحسن الناس عملاً، وأشد الناس خوفًا، لو أنفق جبلاً من مالٍ ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحًا وبرًا وعبادة إلا إزداد فَرَقًا، يقول: لا أنجو لا أنجو. والمنافق يقول: سواد الناس كثير، وسيُغفر لي ولا بأس عليَّ، يسيء العمل ويتمنى على الله تعالى".

وقيل: من زرع شجرة "سوف" أنبتت له نبتة "لعل"، فيها تمرٌ اسمه "ليت" يذوقه الإنسان، طعمه الخيبة والندامة.

٦ــ مصاحبة المثبطات اللاهيات:

لا شك أن المسلمة تتأثر بصاحبتها سلبًا وإيجابًا، فإن كانت صاحبتها من أصحاب الهمم العالية علت همتها، وإن كانت من أصحاب الهمم الضعيفة تدنت همتها، لذا كان لابد من التدقيق في اختيار الصاحبة والبعد التام عن المثبطات اللاهيات.

قال أحد العلماء: الأصحاب ثلاثة: صاحب كالهواء، وصاحب كالدواء، وصاحب كالداء:

أما الصاحب الذي كالهواء: فهو الذي لا تستغني عنه، وهو الذي يقربك من الله ويعرفك على الله، ويحبب إليك ذكر الله.

والصاحب الذي كالدواء: هم أهل المنافع، ولا تحتاج إليه إلا وقت الطلب كالخباز

والنجار والخياط وهكذا.

والصاحب الذي كالداء: فهو الذي يعديك، وهو كالسم الزُّعاف، وهو الذي يقربك من النار، ويقودك إلى الخزي في الدنيا والآخرة.

وقيل: إذا رأيت الرجل يتهاون في فرائض الله فلا تصاحبه قيد أنملة.

وقال بعض الشعراء:

همـــوم رجـــالٍ في أمـــور كثـــيرة وهمي في الـــدنيا صـــديق مســـاعد
نكون كروح بين جسمين قسمت فجسماهما جسمان والروح واحـــد

إن مجتمع المثبطات اللاهيات عندما يحيط بالمسلمة يضعفها، وقد لا تستطيع المقاومة، فيدب الفتور في أوصالها، ويسري التراخي إلى عبادتها وأعمالها.

ولتنتبه المسلمة فلعلها تصاحب من أهل الخير والصلاح مسلمات تدنت هممهن، ووهنت عزائمهن، ولا تظن أنهن السبب في فتور همتها وتلاشي نشاطها، والإنسان سريع التأثر بمن حوله، لذا كان لابد من حسن اختيار الصاحبة والجليسة، حتى وإن كانت من الأخوات المسلمات الدَّيِّنات، فمنهن المثبطات اللاهيات أيضًا، وصدق الشاعر إذ يقول:

لا تصحب الكسلان في حالاتـــه كم صالحٍ بفســـاد آخـــر يفســـد
عدوى البليد إلى الجليد ســـريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمـــد

٧ــ فتنة الزواج والأولاد:

إن الزواج قد يكون عونًا على العبادة وطلب العلم والدعوة إلى الله، وبصفة عامة إلى علو الهمة، وقد يكون بلاءً وفتنة.

فالمرأة التي تتزوج برجل لماله أو لوجاهته أو لمنصبه ونحو ذلك، وتعتبره نعمة وهبها الله إياها، هي في حقيقة الأمر مصيبة قد حلَّت في البيت بسبب النكوص عن الطريق الجاد نحو طلب المعالي في العلم والعمل.

فكم من زوجة وجدت بغيتها في زوج تقدم لها ـ حتى لو كان عنده شيء من التدين ـ ثم وجدت بعد ذلك أنه عامل هدم لهمتها، وعامل تثبيط لآمالها وأهدافها.

أما الأولاد: فنجد الخطط والآمال في تربية الأولاد قبل الزواج وفي بدايته، ثم إذا ما كبروا والتحقوا بالتعليم وبلغوا سن المراهقة، نجد أن هذه الآمال قد تبخرت ولا نجد من الاهتمام بتربيتهم إلا القشور.

قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} [الأنفال: ٢٨]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤]

وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: "الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة"(١).

قال المناوي رحمه الله: "أي يجبن أباه عن الجهاد خشية ضيعته، وعن الإنفاق في الطاعة خوف فقره، فكأنه أشار إلى التحذير من النكوص عن الجهاد والنفقة بسبب الأولاد، بل يكتفي بحسن خلافة الله، فيقدم ولا يُحجم، فمن طلب الولد للهوى عصى مولاه، ودخل في قوله تعالى: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ} [التغابن: ١٤]، الكامل لا يطلب الولد إلا لله، فيربيه على طاعته، ويمتثل فيه أمر ربه {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ}[الفرقان: ٧٤].

وسئل حكيم عن ولده فقال: ما أصنع بمن إن عاش كدَّني، وإن مات هدَّني؟!"(٢).

(ومما يجب التنبيه له هنا: أن البعض قد تختلف حاله في العبادة وطلب العلم والدعوة بعد زواجه، فيحكم عليه الناس بالفتور والتراخي، وقد يهمزونه أو يلمزونه، وهذا الأمر فيه تفصيل، فإن كان اختلاف حاله بسبب قيامه بالحقوق الشرعية لأهله

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم ١٩٩٠.

(٢) فيض القدير (٣٧٨/٦).

وأولاده دون أن يصل إلى حد الإخلال والتفريط في عبادته وعلمه ودعوته، فهذا أمر طبيعي، ولا يمكن أن تكون حاله وقد التزم بمسئوليات جديدة كحاله عندما كان شابًا حرًا طليقًا. والرسول ﷺ قد صدَّق سلمان عندما قال لأبي الدرداء رضي الله عنهما: "إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعطِ كل ذي حق حقه".

أما إن كان الزواج ومن ثَمّ الأولاد قد قعدوا به مع القاعدين فهنا الخطورة، وهذه حال المنافقين الذين قالوا: {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} [الفتح: ١١]، والناس في هذا الباب بين إفراط وتفريط، والعدل هو الوسط، وإعطاء كل ذي حق حقه من غير بخس ولا شطط، وأن يكون المسلم على حذرٍ من: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: ١٥]، و: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤][1].

(١) الفتور، دكتور ناصر العمر ص٤٨، ٤٩.

أهم أسباب الارتقاء بالهمة وعلاج العجز

١ــ العلم والبصيرة:

فالمسلمة كلما ازدادت علمًا، فقهت عن الله مراده وعلت همتها، أما الجاهلة المعرضة عن فهم دينها الفهم الصحيح فأنى لها أن تقوى همتها وترتقي إلى المراتب العليا.

(فالعلم يصعد بالهمة ويرفع طالبه عن حضيض التقليد، ويُصفي النية.

والعلم يورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال، فيتقي فضول المباحات التي تشغله عن التعبد، كفضول الأكل والنوم والكلام، ويراعي التوازن والوسطية بين الحقوق والواجبات امتثالاً لقوله ﷺ: "أعط كل ذي حق حقه"، ويبصره بحيل إبليس وتلبيسه عليه كي يحول بينه وبين ما هو أعظم ثوابًا، قال أبو سليمان: "يجيئك ـ أي: إبليس ـ وأنت في شيء من الخير، فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة"[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:

"السعادة الحقيقة هي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة، وبها يترقى معارج الفضل ودرجات الكمال، فكلما طال الأمد ازدادت قوة وعلوًا، وهذه السعادة لا يعرف قدرها ولا يبعث على طلبها إلا العلم بها.

وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها، وعورة طريقها، ومرارة مباديها، وتعب تحصيلها، وأنها لا تُنال إلا على جسر من التعب، فإنها لا

---

(١) علو الهمة ص٣٤٤ باختصار.

تحصل إلا بالجد المحض"[١].

ويقول الدكتور ناصر بن سليمان العمر: "فكلما ضعف العلم الشرعي لدى المسلم كان أكثر عرضة لأن يصاب بداء الفتور. وذلك أنه يجهل الأدلة الشرعية التي تحث على العبادة والعلم وطلب العلم، ولا يعلم الأثر المترتب على العمل مما يضعف من عزيمته، كما أنه لم يحط بقيمة الصبر وأثره وجزاء الصابرين مما يقلل من احتماله، ويُكثر من شكواه، ومن ثمَّ ترك ما هو عليه، وعند التأمل في قوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]، وفي قوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]، ندرك هذه الحقيقة ومن ثم نعرف العلاج"[٢].

٢ــ إرادة الآخرة وتذكر الموت:

فمما يحط من عزيمة المسلمة الانشغال بالدنيا والإعراض عن الآخرة، ونسيان لقاء الله تعالى، ولكي ترتقي المسلمة بهمتها نحو الله فينبغي أن تجعل الهموم عندها همًا واحدًا وهو إرادة الآخرة، والذي على أساسه تكون توجهاتها في الحياة، وتكون تطلعاتها بل وحياتها الحقيقية كما قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً} [الإسراء: ١٩].

وقال ﷺ: "من كانت همُّه الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت همُّه الدنيا فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له"[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) الفتور المظاهر، الأسباب، العلاج ص٤٥.

(٣) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم ٩٤٨.

وكذلك لترتقي المسلمة بهمتها نحو الله فينبغي عليها الإكثار من ذكر الموت؛ لأنه يدفع صاحبته إلى العمل الصالح والتجافي عن دار الغرور، ومحاسبة النفس، وتجديد التوبة، وإيقاظ العزم على الاستقامة.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال: "علام اجتمع عليه هؤلاء؟" قيل: على قبر يحفرونه، قال: ففزع رسول الله ﷺ، فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر، فجثا عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلَّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا، قال: "أي إخواني، لمثل هذا اليوم فأعدوا")[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث؛ أضحكني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه وهو لا يدري أأرضى الله أم أسخطه؟ وأبكاني: فراق الأحبة محمد ﷺ وحزبه، وهول المُطَّلَع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله، يوم تبدو السريرة علانية، ثم لا يدري إلى الجنة أو إلى النار؟).

وقيل لبعض الزهاد: "ما أبلغ العظات؟" قال: "النظر إلى الأموات".

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأوزاعي: "أما بعد، فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير".

وعن عطاء قال: "كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ويبكون".

وكان يقول صالح المري: "إن ذكر الموت إذا فارقني ساعة فسد عليَّ قلبي".

وقال الدقاق: "من أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب،

---

(١) أخرجه البخاري في "التاريخ"، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألباني رحمه الله في "الصحيحة" رقم ١٧٥١.

ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة"[١].

(كما أن مشاهدة المحتضرين، وملاحظة سكرات الموت ونزعاته، وتأمل صورة الميت بعد مماته، مما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمسح الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب.

ذكر عن الحسن البصري أنه دخل على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقال له: "الطعام يرحمكم الله"، فقال: "يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه")[٢].

٣ـــ سؤال الله علوّ الهمة:

وهذا السبب يجب ألا نقلل من شأنه أو نتركه أو نهمله؛ لأننا أحيانًا ندعو ولا نجد ما نريد فنترك الدعاء، وهذا من الجهل بالله تعالى.

قال ﷺ: "أعجز الناس من عجز عن الدعاء"[٣]، وقال أيضًا ﷺ: "إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه"[٤].

(فإنه لا يخفى على كل ذي لُب المكانة العظيمة للدعاء في الإسلام، فهو من أعظم العبادات لأنه يوقف العبد على حقيقة ضعفه وافتقاره إلى الله جل وعلا، فيتضرع إليه مستكينًا، ذليلاً، سائلاً حاجته، راجيًا خائفًا، راغبًا راهبًا، لهذا فللدعاء أعظم الأثر في روح الإنسان وفطرته.

---

(١) علو الهمة ص٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) التذكرة للقرطبي ص١٢.

(٣) رواه الطبراني، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم ١٠٥٥.

(٤) رواه ابن حبان وصححه، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم ٤٣٧.

إنه يرده إلى الله خالقه، فيوقفه بين يديه، مستشعرًا ذله وعظمة ربه، وضعفه، وقوة خالقه، وفقره وحاجته، وغنى وكرم إلهه، وتلك غاية العبادة ومقصودها.

واعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين؛ لأن في السؤال إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة.

كما أن في السؤال الاعتراف بقدرة المسئول على رفع الضر ونيل المطلوب، وجلب المنافع ودفع المضار، وهذه كلها ليست إلا لله على الحقيقة.

ولهذا كانت وصية رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "إذا سألت فاسأل الله")[1].

٤ـــ التحول عن البيئة المثبطة:

إن للبيئة المحيطة بالإنسان أثرًا جسيمًا لا يخفى، فإذا كانت بيئة مثبطة داعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون؛ فإن على المرء أن يهجرها إلى حيث تعلو همته، كي يتحرر من سلطان تأثيرها، وينعم بفرصة الترقي إلى المطالب العالية[2]:

تقول ابنة السعدي وهي تلومني أما لك عـــن دار الهـــوان رحيـــلُ
فإن عناء المستنيم إلى الأذى بحيـــث يـــذل الأكرمـــون طويـــل
وعندك محبوك السراة مطهم وفي الكف مطرور الشباة صـــقيل[3]

وأشد الناس حاجة إلى تجديد البيئة المحيطة وتنشيط الهمة: الحديث العهد بالتوبة، فإن من شأن التحول من بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة أن ينسيه ما يجذبه إلى

---

(١) فقه الدعاء لأبي عبد الرحمن بن إبراهيم عطية، من المقدمة باختصار.

(٢) والهجرة تكون فرضًا واجبًا إذا كانت من دار الكفر إلى دار الإسلام.

(٣) فرس محبوك: قوي شديد، سراة الفرس: أعلى متنه، والمطهَّم: التام المتناهي في الحسن، والمطرور: ذو المنظر والرواء والهيئة الحسنة، والشباة: حدُّ طرف السيف، والصقيل: المجلو.

صحبة السوء وأماكن السوء، فيجتمع قلبه، ويلتئم شمله، وتتوحد همته، وتتوجه بصدق وعزم إلى أسلوب من الحياة جديد، وهذا عين ما أشار به "العالم" الواعي على قاتل المائة، حين شفَّع قوله: "نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة"[1]، بقوله: "انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء"، ولما جاءه الموت، واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، كان قربه إلى القرية الصالحة بالنسبة إلى بلد السوء سببًا في قبض ملائكة الرحمة إياه، ففي بعض الروايات: "فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجُعل من أهلها"، وفي رواية: "فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقرَّبي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له"، وفي رواية: "فنأى بصدره نحوها".

ولعل هذا المعنى كامن أيضًا في تشريع نفي الزاني غير المحصن وتغريبه سنة بعيدًا عن وطنه، كي تجتمع عليه عقوبة بدنية بالجلد، وعقوبة قلبية بالنفي، وفي الوقت نفسه يُبْعَد عن مسرح الجريمة كي ينسى ذكراها، ولا يبقى حيث يعامل باحتقار وإهانة، ويتعرض للمضايقات، ويُعطَى فرصة كافية لاستئناف التوبة الصادقة والحياة الكريمة)[2].

٥ــ الصبر والمصابرة:

(طريق العلم والعبادة والدعوة إلى الله طريق شاقٌ، تحفّه المصاعب والمشاق، {الم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: ١، ٢]، {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٢]، ولما للصبر من عظيم الأثر في الثبات على الطريق، والعصمة من الزلل

(١) متفق عليه.

(٢) علو الهمة ص٣٥٠.

والانحراف والاستعجال والفتور جاءت الآيات الكثيرة تبين أهميته وتوصي به وتحث عليه، ويصعب حصرها في هذا المختصر، ولكن أذكر بعضًا منها:

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى:٤٣]، {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} [الأحقاف: ٣٥]، {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥]، {سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:٢٤]، {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص: ٥٤]، {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة:٢٤]، {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران: ١٨٦]، {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧]، {وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا} [الأنفال: ٤٦]، {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} [مريم: ٦٥]، {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طـه: ١٣٢]، {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} [البقرة: ٤٥]، {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا} [البقرة: ٢٥٠]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠].

إن هذه الآيات وأمثالها تدل على منزلة الصبر والمصابرة وأثرهما في حمل الدعوة وأداء العبادة، وبذل العلم.

ومما يعين المسلم على الصبر ويشد أزره، قراءة سير الأنبياء والمرسلين مع أممهم، وما واجهوه من مصاعب ومشاقّ، وكذلك أتباعهم، فلم يهنوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا وصبروا {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:١٤٦].

ولو لم يكن في الصبر إلا منزلة المحبة لكفى بها شرفًا وعزّ بها مطلبًا، {فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً} [المعارج: ٥]، وأكثروا من هذا الدعاء {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا

مُسْلِمِينَ} [الأعراف: ١٢٦]، ولا تتمنوا لقاء العدو، ولكن وطنوا أنفسكم على إذا لقيتموهم أن تصبروا)[1].

٦ــ صحبة أولي الهمم العالية ومطالعة أخبارهم:

إن أقوى البواعث على ارتفاع الهمة أن تصحب المسلمة مسلمةً مجتهدةً في العبادة والعلم والعمل، وتلاحظ أقوالها أيضًا فتقتدي بها، وكان بعضهم يقول: "كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع واجتهاده، فعملت على ذلك أسبوعًا".

وقال زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: "إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه".

أنـــت في النـــاس تقـــاس بالـــذي اختـــرت خلـــيلا
فاصـــحب الأخيـــار تعلـــو وتنـــل ذكـــرًا جمـــيلا

وكان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

وقال ابن القيم رحمه الله: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه (يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله)، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما أُعطي عبد بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وُدًا من أخيه فليتمسك به".

وقال الحسن البصري: "إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا؛ لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة".

---

(١) الفتور ص١١٧، ١١٨.

ويقول الإمام ابن عقيل الحنبلي: "وعصمني الله من عنفوان الشبيبة بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وأهله، فما خالطتُ لعَّابًا قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم".

فهذه الآثار وغيرها تدلكِ على أن مصاحبة ذوات الهمم العالية هو الطريق إلى المعالي، ومشابهة الفضليات من النساء والتأثر بهن يقوي من العزيمة.

كما أن مطالعة أخبار النساء الصالحات يشحذ همم الكسالى، ويحرك عزائمهن للجد، (وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذي نعاشرهم، لا نرى فيهم ذا همة عالية، فيقتدي بها المبتدئ ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد.

فالله الله، وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال:

فاتني أن أرى الـــديار بطـــرفي فلعلـــي أرى الـــديار بســـمعي

ثم بيَّن رحمه الله ثمرة مطالعة كتب الأقدمين قائلاً: (فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع)[1].

إن الإنسان إذا رأى قرينًا له يفوقه في عبادته أو زهده أو ثقافته أو سلوكه فإنه يتأثر به غالبًا، وهذه طبيعة النفس البشرية.

فاحرصي أيتها المسلمة على مصاحبة مثل هؤلاء النساء، وزيارتهن، والتأسي بأفعالهن، تعلو همتك إن شاء الله.

ولذلك أرشدنا رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة إلى ضرورة اختيار الصاحب والجليس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المرء على دين

---

(١) صيد الخاطر ص٣٦٦، ٣٦٧.

خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[١].

وعنه أيضًا قال: "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة"[٣].

٧ـــ تحديد هدف سامٍ للوصول إليه:

وليس هناك من هدف أسمى وأعظم من نيل رضا الله عز وجل والجنة، يقول الدكتور محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف:

(فكلما سما هدف المرء ضاعف جهده للوصول إليه، ولذلك يُلحظ على أكثر العاجزين أنهم لا هدف لهم إطلاقًا أو أن أهدافهم تافهة حقيرة لا قيمة لها، ويُرى أن أكثر العظماء كانت لهم أهداف عظيمة حاولوا الوصول إليها، فأفلحوا تارة وأخفقوا أخرى، لكن فلاحهم ـ إذا أفلحوا ـ شيء عظيم.

لذلك على العاجز ـ حتى يتخطى عجزه ـ أن يضع نصب عينه هدفًا عظيمًا يسعى أن يصل إليه، وهذا السعي في الحقيقة هو تجاوز للعجز.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن، وكذا قال الألباني رحمه الله. صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٣٧.

(٢) رواه مسلم ٢٦٣٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

قال المتنبي[١]:

إذا غامرت في شـــرف مَـــرُوم فلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم
فطعم المـــوت في أمـــر حقـــير كطعم الموت في أمـــر عظـــيم
يرى الجبناء أن العجـــز عقـــل وتلك خديعـــة الطبـــع اللئـــيم

"إن تحقيق هدفك بحاجة إلى مزيد من العزيمة، وقوة الإرادة والثقة بالنفس، والقوة النفسية، والشجاعة الأدبية، بيد أنك ستواجه سيلاً عارمًا من التثبيط، ومن التشكيك ومن التنقيص، وكل ذلك بهدف التقليل من مكانتك وشأنك، ولا ضير من ذلك إذا كانت مناعتك النفسية قوية، فهناك عوائق وعقبات ومشاكل في طريق هدفك، عليك أن تستعد لكل ذلك وأبعد من ذلك، وتأكد من أن الطرق المتكرر لابد وأن يفتت الصخرة الصماء"[٢].

(والسعي للوصول إلى الهدف السامي يضمن لك ثلاثة أمور بإذن الله تعالى:

١ـ الدرجات العظيمات في الآخرة.

٢ـ الثبات على المنهج الصحيح.

٣ـ حسن الذكر والثناء بعد الموت، الجالب لدعاء الصالحين واستغفار المستغفرين، قال سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [الشعراء: ٨٤]. أما لو تحقق هدفك وكان عظيمًا ساميًا فقد فزت فوزًا عظيمًا، والله الموفق)[٣].

---

(١) شاعر الزمان، أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب الشهير بالمتنبي، ولد سنة ٣٠٣ وأقام بالبادية وكان من أذكياء عصره، بلغ الذروة في النظم، وسار ديوانه في الآفاق، لازم الملوك ومدحهم، ثم سقط فتنبأ ثم تاب، قُتِلَ سنة ٣٥٤، انظر سيرته في: سير أعلام النبلاء (١٦/١٩٩ـ ٢٠١).

(٢) الشخصية الناجحة، ٧١.

(٣) عجز الثقات ص١٣٨ـ ١٤١.

إن وضوح الهدف وتحديده مطلب هام وضروري، من أجل أن تسير المسلمة بخطى متزنة نحو الجنة التي ترنو إليها، أما أن تكون الأهداف ضبابية عائمة، والأعمال ارتجالية، فإن ذلك مدعاة للقعود والتخلف عن الركب والفتور في النهاية.

نماذج من علو همة النساء

هذه بعض النماذج الراقية في علو همة النساء عسى أن تكون دافعًا للمرأة أن تتخذ منهن القدوة المثل، وتخلع عن نفسها لباس الكسل والدعة والخمول والبلادة.

١ــ آسية زوج فرعون: مَثَلٌ عالٍ للاستعلاء على عَرَض الدنيا:

قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم: ١١].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلى آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإنَّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[(١)].

وروى أبو ليلى في "مسنده" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: "رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين" فكشف لها عن بيتها في الجنة)[(٢)].

يقول الدكتور عمر الأشقر ـ حفظه الله ـ: (من سنة الله في خلقه أن يفضحهم إن هم تجاوزوا حدودهم، وبخاصة إذا اعتدوا على ربوبية الله وألوهيته، ومن ذلك ما وقع لطاغية مصر الذي ادعى الألوهية والربوبية، وقد فضحه الله في مواقف كثيرة، آخرها إهلاكه وجنده بالغرق.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) حديث صحيح، صححه الألباني في "الصحيحة" برقم ٢٥٠٨.

ومن ذلك: أنه كان يبحث عن الطفل الذي سيكون هلاكه على يديه، فأرسله الله إليه في قصره، وألقى حبه في قلب الملكة، فربي في قصر فرعون، فكان يرعاه ويحفظه، وينفق المال على أمه جزاء إرضاعها له.

ومن ذلك: إدخال الإيمان بالله الواحد الأحد في قلب ماشطة ابنته، فقد كفرت بألوهيته وربوبيته وآمنت بالله الواحد الأحد.

ومن ذلك: إيمان زوجة فرعون بالله وبما جاء به رسول الله موسى، فعذبها عذابًا شديدًا، وطلبت من الله تبارك وتعالى أن ينقذها من عذابها، ويختارها إلى جواره **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}** [التحريم: ١١].

وقد أخبرنا هذا الحديث أن فرعون عندما اكتشف إيمان زوجته أوتد لها أربعة أوتاد في يديها ورجليها، وهذا يعني أنه دق في كل طرف من أطرافها وتدًا، ويحتمل أن يكون أمر بأن يشد كل طرف من أطرافها بحبل إلى وتد من تلك الأوتاد.

وعلى كل، فإن هذا النوع من التعذيب مؤلم وشديد، ولذلك فإنها دعت ربها أن يخلصها من فرعون وعمله، وأن ينجيها من القوم الظالمين، بنقلها إلى دار البقاء في جنات النعيم.

وأخبرنا هذا الحديث أن الملائكة كانت تظلل هذه المرأة الصالحة عندما يتفرق عنها زبانية فرعون الذين يعذبونها، كما أخبرنا أن الله كشف لها عن بيتها في الجنة وهي تحت العذاب.

لقد أثبتت هذه المرأة لفرعون تفاهته وحقارته، فقد آمنت بالله إلهًا وربًا، وكفرت بألوهيته وربوبيته، ولو كان إلهًا كما ادَّعى لما خرجت زوجته عن طوعه، ولاستطاع أن

يعيدها إلى الإيمان به، ولكنها اختارت مفارقته إلى الرب الذي آمنت به)[1].

قال صاحب "الظلال": (وهاهي ذي امرأة فرعون لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتًا في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء، وهي ألصق الناس به **{وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ}**، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم **{وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**.

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره، فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ. في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي، ولكنها استعلت على هذا بالإيمان، ولم تعرض عن هذا العرض فحسب، بل اعتبرته شرًا ودنسًا وبلاءً تستعيذ بالله منه، وتتفلت من عقابيله، وتطلب النجاة منه.

وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية... وهذا فضل آخر عظيم. فالمرأة ـ كما أسلفنا ـ أشد شعورًا وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته. ولكن هذه المرأة... وحدها.. في وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك، وضغط الحاشية، والمقام الملوكي... في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء... وحدها... في خضم هذا الكفر الطاغي!

وهي نموذج عالٍ في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهواتف. ومن ثم استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد، الذي تتردد كلماته في جنبات الكون وهي تتنزل من الملأ الأعلى)[2].

فلتتأمل المرأة الصالحة هذا الموقف الرائع الفريد ولتتدبره ثم تنظر أين هي منه؟ أين

---

(١) صحيح القصص النبوي ص٢٨١، ٢٨٢.

(٢) الظلال (٦/٣٦٢١، ٣٦٢٢).

هي من الاستعلاء بدينها وعقيدتها حينما تصر على الزواج برجل مستقيم على دين الله تعالى، ملتزم بالكتاب والسنة، وتعرض عن كل رجل ليس عنده دين أو التزام؟ أين هي من الاستعلاء بدينها وعقيدتها عندما تجد زوجها يسير في طريق الغواية، لا ينتصح ولا يستمع لنداء الحق بعدما حاولت معه جاهدة أن يهديه الله تعالى إلى طريق الحق والسلامة، فآثرت الافتراق عنه حتى لا يفسد عليها دينها؟

أين هي من الاستعلاء بدينها وعقيدتها عندما تجد نفسها وحيدة على الحق والناس من حولها يسخرون منها وينالون منها، وهي مع ذلك تستعذب غربة الإسلام؛ لأنها آثرت ما عند الله تعالى من النعيم المقيم على هذا العَرَض الزائل؟

أين هي من الاستعلاء بدينها وعقيدتها عندما ترفض ضغوط المجتمع عليها، وتتجرد لله تعالى وحده، ولا تبالي إلا برضا الله عز وجل؟

٢ـــ خديجة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين[١]:

روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران".

قال فيها رسول الله ﷺ: "آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس"[٢].

وهي التي وقفت بجانب رسول الله ﷺ وآزرته حينما قالت له: "كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتُعين على نوائب الحق"[٣].

أين المرأة الصالحة من الاقتداء بخديجة رضي الله عنها؟

---

(١) انظر دورها ومكانتها في "مواقف نسائية خالدة" للمؤلف.

(٢) قال الحافظ في "الفتح": رواه أحمد والنسائي بإسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

أين موقفها من زوجها إذا ألمَّ به شيء أو نزل به مكروه؛ هل ستسانده وتقف بجواره أم تتخلى عنه؟

أين هي من تعظيم قدر الزوج حينما تُثني عليه بذكر محاسنه وأخلاقه لا بذكر مساوئه واغتيابه؟

أين هي من سرعة الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ دون تردد أو تخاذل؟ فرسول الله ﷺ لما دعا خديجة إلى الإسلام أجابته طوعًا، ولم تعترض وتحوجه إلى منازعة ومجادلة، بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير.

٣ــ فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ:

كانت مثلاً رائعًا وقدوة عملية لنساء المسلمين في أكثر من جانب:

ففي خدمتها لبيتها وزوجها، فقد قمَّت رضي الله عنها البيت حتى اغبرت، وطحنت حتى مجلت يداها، وأثَّرت الرحى في صدرها، واستعانت على خدمة البيت بالتسبيح.

كان مهرها درع عليٍّ الحطمية، وأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من أدم حشوها ليف، وقربة ومُنخل وقدح ورحى وجرابان.

ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل، وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

فأين المرأة المسلمة التي تخدم زوجها وأولادها وتعتني ببيتها وهي لا تمن ولا تشتكي ولا تضجر؟

أين المرأة المسلمة في تواضع أثاث بيتها ورضائها به؟ فكم من زيجة لم تكتمل بسبب كثرة الطلبات وإرهاق الزوج، وعدم رغبة المرأة في أن تسير خطوة خطوة مع زوجها حتى يكبر ويوسع الله عليه.

أين الزوجة الطائعة الراضية التي لا تشغل نفسها بما عند غيرها، وتشغل نفسها

بما تود أن يكون لها عند ربها؟

أين الزوجة المسلمة التي تقدر للزوج قدره، تلتمس رضاه، وتتجنب ما يسخطه؟

قال الحافظ الذهبي: "روى إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: لَمَّا مرضت فاطمة أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم.

قلت: عملت السُنة رضي الله عنها، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره"[(١)].

وكم من زوجة تقيم الدنيا وتقعدها لأن زوجها لا يريد أن يأذن لجارتها أو صديقتها أو أحد من أهلها، فهلا تأست نساؤنا بفاطمة رضي الله عنها؟!

٤ـــ الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها:

قال الذهبي: "لا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها، ونشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر؟!"[(٢)].

لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات، ومن أنفذ الناس رأيًا في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكات على الصحابة رضي الله عنهم وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها.

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ما أُشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديث قطُّ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا".

فأين المرأة المسلمة من حرصها على تعلم العلم الشرعي سواء كان مقروءً أو مسموعًا أو غير ذلك مما يزيدها علمًا وفهمًا للدين وتقربًا لرب العالمين؟!

أما عن عبادتها:

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢١/٢).

(٢) المصدر السابق (١٤٠/٢).

فعن القاسم: أنها كانت تصوم الدهر، لا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر، وعنه أيضًا قال: "كنت إذا غدوت، أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح، وتقرأ: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور:٢٧]، تدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللتُ القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي".

وعن عروة قال: "كانت عائشة رضي الله عنها لا تمسك شيئًا مما جاءها من رزق الله إلا تصدقت به".

فأين المرأة المسلمة من الاقتداء بعائشة رضي الله عنها في عبادتها؟!

أين المرأة المسلمة التي تحرص على صيام النفل، وصلاة النفل، والإنفاق في سبيل الله؟!

٥ــ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

قالت عائشة رضي الله عنها: "كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ولم أرَ امرأة قطُّ خيرًا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى".

وقال محمد بن كعب: (كان عطاء زينب اثنى عشر ألف درهم "حُمل إليها فقسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة حتى أتت عليه، فبلغ عمر فقال: "هذه امرأة يراد بها خير" فوقف على بابها، وأرسل بالسلام، فقال: "قد بلغني ما فرّقتِ" فأرسل إليها بألف درهم لتنفقها، فسلكت بها طريق ذلك المال").

فأين المرأة المسلمة من هذه الخلال الحميدة لزينب رضي الله عنها؟!

أين المرأة المسلمة من علو همة أم المؤمنين في الصدقة والإنفاق؟!

وأين المرأة المسلمة من قول عائشة الحَسَن في ضرتها زينب رضي الله عنها، فهي لا

تغمطها حقها، بل تثني عليها بما فيها، ولم يمنعها أنها ضرة لها أن تغتابها أو تنال منها، أو أن تحقد عليها أو تكرهها، لا تفعل ذلك أبدًا، فأين المرأة المسلمة اليوم إن كان لها ضرة من هذه الأخلاق الكريمة؟!

٦ــ سُميّة بنت خُبَّاط أول شهيدة في الإسلام:

أم عمار بن ياسر كان سابعة سبعة في الإسلام، وكان بنو مخزوم إذا اشتدت بهم الظهيرة والتهبت الرمضاء خرجوا بها هي وابنها وزوجها في الصحراء وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتَّقِدَة، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة.

واعتصمت بالصبر وقرَّت على العذاب، وأبت سمية أن تُعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد الإيمان، فذهبوا بروحها وأفظعوا قِتلتها.

فأين المرأة المسلمة من إيمان هذه المجاهدة الصابرة في الله؟

أين المرأة المسلمة اليوم حين يضعف إيمانها ولا تصبر على غربة دينها؟

أين المرأة المسلمة اليوم حينما تنتكس عن طريق الهداية لأنها لا تحتمل استهزاء الناس بها ولا نظراتهم لها؛ لأنها متمسكة بدينها قابضة عليه؟!

٧ــ الخنساء التي صاغها الإسلام:

(في الجاهلية: ملأت البوادي نياحًا على شقيقها صخر... وفي الإسلام: قدَّمت أشطار كبدها ونياط قلبها، أربعة من الأُسُود خرجوا إلى القادسية، فكان مما أوصتهم به قولها: "يا بني، إنكم أسلمت طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجَّنتُ حسَبَكم، وما غيَّرتُ نسبكم، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها، وجلَّلتم نارًا على أرواقها، فيمِّموا وطيسَها، وجالدوا رسيسها، تظفروا بالغُنْم والكرامة في دار الخُلْد والمقامة".

فلمَّا كشَّرت الحرب عن نابها، تدافعوا إليها، وتواقعوا عليها، وكانوا عند ظن أمهم

بهم حتى قُتلوا واحدًا في إثر واحد، ولَّما وافتها النُعاة بخبرهم، لم تزد على أن قالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مُستقر الرحمة")[1].

أين المرأة المسلمة التي تربي أولادها على صدق الانتماء لهذا الدين؟

أين المرأة المسلمة اليوم التي ترسخ في نفوس أولادها أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية؟

أين المرأة المسلمة اليوم التي لا تساوي الدنيا عندها شيئًا ولا تقع عينها إلى على الجنة؟!

٨ـــ خولة بنت الأزور: من ذوات الخدور لكن ليس كمثلها النُّسور:

يروى أنه لما أسر شرارُ بن الأزور في وقعة أجنادين، سار خالد بن الوليد في طليعة من جُنده لاستنقاذه، فبينا هو في الطريق، مرَّ به فارس معتقِل رُمْحه لا يبين منه إلا الحدق، وهو يقذف بنفسه، ولا يلوي على ما وراءه، فلما نظر خالد قال: ليتَ شِعْري! من هذا الفارس؟! وايم الله إنه لفارس.

ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم، فحمل عليهم وأمعن بين صفوفهم وصاح بين جوانبهم، حتى زعزع كتائبهم، وحطَّم مواكبهم عليهم. فقالت عَفْراءُ بنت عَفَار: والله ما دعوت إلى ما هو إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدةٍ عمودًا من عُمد الخيام، وصِحْن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمودًا، وتتابع النساء وراءها، فقالت لهن خولة: لا ينفك بعضكم عن بعض، وكُنَّ كالحلقة الواحدة الدائرة، ولا تتفرقن فتُمْلَكْنَ، فيقع بكن التشيتُ، واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم.. وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت، حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

---

(١) الإصابة (٧/٦١٥، ٦١٦)، الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٢٩٧).

نحـــن بنـــات تُبَّـــعٍ وحِمْيَـــر وضَرْبُنا في القوم لـــيس يُنكـــر
لأننا في الحـــرب نـــار تسْـــعَرْ اليوم تسقَوْن العـــذاب الأكـــبر

فلم تكن غير جولة جائلٍ حتى خرج وسنانه ملطَّخٌ بالدماء، وقد قتل رجالاً، وجندل أبطالاً، ثم عرّض نفسه للموت ثانية، فاخترق صفوف القوم غير مكترث، وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليه شيء كثير، وظنه أناس خالدًا، حتى إذا قدم خالد، قال له رافع بن عميرة: من الفارس الذي تقدم أمامك؛ فقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: والله لأنّا أشد إنكارًا وإعجابًا لما ظهر من خلاله وشمائله، وبيْنا القوم في حديثهم، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب، والخيل تعدو في أثره، وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه، فأنهل رُمحه من صدره، حتى قدم على المسلمين، فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورَفْع لثامه، وناشده ذلك خالدٌ وهو أمير القوم وقائدهم، فلم يُحرْ جوابًا، فلما أكثر خالدٌ أجابه وهو مُلثَّم، فقال: أيها الأمير، إني لم أُعرِض عنك إلا حياءً منك؛ لأنك أمير جليلٌ، وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أني محرقة الكبد، زائدة الكمَد. فقال خالدٌ: من أنتِ؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور، كنتُ مع نساء قومي فأتاني آتٍ بأن أخي أسير، فركبتُ وفعلت ما رأيت، هنالك صاح خالدٌ في جنده، فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم، وكانت تجول في كل مكان علَّها تعرف أين ذهب القوم بأخيها؟ فلم تر له أثرًا، ولا وقفت له على خبر، على أنها لم تزل على جهادها، حتى استُنقذ لها أخوها[1].

ومن مواقفها الرائعة: موقفها يوم أُسِرَ النساء في موقعة "صحورا"، فقد وقفت في النساء، وكانت قد أسرت معهنَّ، فأخذت تثير نخوتهن، وتُضرم نار الحمية في

(١) فتوح الشام (١/١٢٧، ١٢٨).

قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيءٌ معهن، فقالت: خُذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا.

أقف أمام خولة بنت الأزور بكل حياء وخجل، عندما أجد منها هذا الاعتزاز بالدين، وهذه التضحية وهذا الجهاد في سبيل الله، وفينا من لم يتخلص من آفات نفسه، ولم يوقفها عند حدود الشرع، فلا يزال يترخص أو يتكاسل أو يغفل؟

فما حال نساؤنا اليوم حتى الدَّينات منهن ـ وأكثرهن لا يستطعن أن يبذلن أوقاتهن لله تعالى؟!

وهن يُقصِّرْنَّ في تربية أولادهن، بعدما كانت عزائمهن وهممهن قوية قبل الزواج، ثم ما لبثت أن فترت وفترت حتى أصبحت كالرماد؟!

كيف حال نساؤنا اليوم وهن مقصرات في حق أزواجهن وحسن تبعلهن، أليس هذا جهادهن؟!

كيف حال نساؤنا اليوم وهن مقصرات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ربما تجد عندهن بعض المنكرات في بيوتهن، وعندهن التأويلات والترخصات لذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟!

كيف حال نساؤنا اليوم وهن لا يعرفن شيئًا عن دينهن إلا الفتات، تصلي وتخطئ في صلاتها، ولا تدري ماذا تفعل؟

تحيض وتتطهر، ولا تدري متى تصلي؟

تخرج وتعمل، ولا تدري ما الحدود الشرعية لخروج المرأة للعمل؟

لا تعرف عن النوافل شيئًا إلا ما تعوَّدت عليه، وليس لها من همة توصلها إلى درجاتٍ أعلى وأعلى!

إذا كان هذا حال أكثر النساء اليوم، فهيَّا نساء المسلمين فلتنفض كل واحدة عن كاهلها الكسل والخمول، ولتعقد العزم على همة عالية، ونية صادقة؛ تتأسى فيها

بنساء صالحاتٍ قد مر زمانهن في العلم والعبادة والجهاد والتضحية والدعوة وغير ذلك من العبادات.

٩ــ وما أعلى هِمَّة الصالحات في طلب العلم والعمل به[١]: حفصة بنت سيرين، تمكث ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقضاء حاجة:

"أم الهذَيْل الفقيهة الأنصارية.

قال مهدي بن ميمون: مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة أو قضاء حاجة؟

وقال إياس بن معاوية: قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، فذكروا له الحسن وابن سيرين، فقال: أما أنا: فما أفضِّل عليها أحدًا"[٢].

وعن هشام بن حسان قال: كان إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ.

وعنه قال: اشترت حفصة جاريةً ـ أظنها سِنْدية ـ فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكرت كلامًا بالفارسية، تفسيره: إنها امرأة صالحة إلا أنها أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهي الليل كله تبكي وتصلي.

وعن عبد الكريم بن معاوية قال: ذُكِر لي عن حفصة أنها تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدهر، وتفطر العيدين وأيام التشريق.

عمرةُ بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة: بحرٌ لا يترف:

تربية[٣] عائشة، كانت عالمة فقيهة، حُجة كثيرة العلم، وحديثها كثير في دواوين

---

(١) لمزيد من الاستفادة انظر: عودة الحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل، الجزء الثاني، و"صلاح الأمة في علو الهمة" للشيخ سيد حسين العفاني (١٥٧/٧ـ ١٩١).

(٢) السير (٥٠٧/٤).

(٣) التِّرب: اللِّدَة، والسِّنّ، ومَنْ وُلِد معك.

الإسلام.

عن ابن شهاب: عن القاسم بن محمد أنه قال لي: "يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلُّك على وعائه؟" قلت: بلى. قال: عليك بعَمْرة، فإنها كانت في حجرة عائشة رضي الله عنها. فأتيتُها فوجدتها بحرًا لا ينزف.

وابنة سعيد بن المسيب تعلِّم زوجها علم سعيد بن المسيب:

وهذه ابنة سعيد بن المسيب لما أن دخل زوجها أبو وداعة، وكان من أحد طلبة والدها، فلما أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلَّم العلم. فقالت له: اجلس أعلمك عِلْمَ سعيد[1].

أم سفيان الثوري تعوله بمغزلها:

قال وكيع: قالت أم سفيان لسفيان: اذهب، فاطلب العلم حتى أعولك بمغْزَلي، فإذا كتبت عدَّة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة، فاتَّبعه، وإلا فلا تتعَنَّ[2].

وأم الدرداء الصغرى مثلٌ عظيم للفقيهة العابدة:

روت علمًا جمًا عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان، وكعب بن عاصم، وعائشة، وأبي هريرة، واشتُهرت بالعلم والعمل والزهد.

قال مكحول: كانت أم الدرداء فقيهة.

وقال عون بن عبد الله: كنا نأتي أم الدرداء، فنذكر الله عندها.

وقال يونس بن ميسرة: كان النساء يتعبَّدن مع أم الدرداء رضي الله عنها، فإذا ضعفْنَ عن القيام تعلقنَ بالحبال!!

---

(١) المدخل لابن الحاج (٢١٥/١).

(٢) السير (٢٦٩/٧).

وبنت الإمام مالك تحفظ "الموطأ":

وكان الإمام مالك يُقرأ عليه "الموطأ" فإذا لحن القارئ في حرف، أو زاد، أو نقص؛ تدقُ ابنتُهُ الباب، فيقول أبوها للقارئ: ارجعْ فالغلط معك. فيرجع القارئ فيجد الغلط[1].

وجارية الإمام مالك:

وحُكي عن أشهب أنه كان في المدينة، وأنه اشترى خضرة من جارية، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشيةً حين يأتينا الخبز فأتِنا نُعطِك الثمن. فقالت: هذا لا يجوز. فقال لها: ولِمَ؟ فقالت: لأنه بيع طعام بطعام، غير يدٍ بيدٍ. فسأل عن الجارية فقيل لا: إنها جارية مالك بن أنس رحمه الله[2].

والدة الفقيه الواعظ المفسِّر زين الدين علي بن إبراهيم:

المعروف بـ"ابن نجيَّة" سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي.

قال ناصح الدين بن الحنبلي: قال لي والدي زين الدين ـ سَعِد بدعاء والدته ـ: كانت صالحة حافظة تعرف التفسير.

قال زين الدين: كنا نسمع من خالي التفسير، ثم أجيء إليها فتقول: إيش فسَّر أخي اليوم؟ فأقول: سورة كذا وكذا. فتقول: ذَكر قول فلان؟ وذكر الشيخ الفلاني؟ فأقول: لا. فتقول: ترك هذا؟!

وسمعت والدي يقول: كانت تحفظ كتاب "الجواهر"، وهو ثلاثون مجلدة، تأليف

---

(١) المدخل (١/٢١٥).

(٢) المدخل.

والدها الشيخ أبي الفرج، وأقعدت أربعين سنة في محرابها[١].

أم عليٍّ بن المديني.. لله درُّها:

قال علي بن المديني: "غبتُ عن البصرة في مخرجي إلى اليمن ـ ثلاث سنين ـ وأمي حيَّة، فلما قدمتُ، قالت: يا بنيَّ: فلانٌ لك صديق، وفلان لك عدوٌ. قلت: من أين علمت يا أُمَّهْ؟ قالت: كان فلان وفلان ـ فذكرت منهم يحيى بن سعيد ـ يجيئون مُسَلِّمين، فيعزُّوني، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليك سرَّك بما ترين. فعلمت أن هؤلاء أصدقاء، وفلان وفلان إذا جاءوا يقولون لي: اكتبي إليه، وضيِّقي عليه ليقدم"[٢].

فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح: تستحضر أكثر "المغني":

قال عنها ابن رجب: "أم زينب الواعظة، الزاهدة العابدة، الشيخة الفقيهة، العالمة المسِندة المفتية، الخائفة الخاشعة، السيدة القانتة، المرابطة المتواضعة، الدَّيِّنة العفيفة، الخيِّرة الصالحة، المتقنة المحقِّقة، الكاملة الفاضلة، المتفنِّنة البغدادية، الواحدة في عصرها، والفريدة في دهرها، المقصودة في كل ناحية.

كانت جليلة القدر، وافرة العلم، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه إتقانًا بالغًا، أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر، حتى برعت. كانت إذا أشكل عليها أمرٌ سألت ابن تيمية عنه فيُفتيها، ويتعجب منها ومن فهمها، ويبالغ في الثناء عليها.

وكانت مجتهدة، صوَّامة قوَّامة، قوَّالة بالحق، خشنة العيش، قانعة باليسير، آمِرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، انتفع بها خلق كثير، وعلا صِيتُها، وارتفع محلُّها. توفيت ليلة عرفة. رحمها الله"[٣].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤٤٠).

(٢) السير (١١/٤٩).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٦٧، ٤٦٨).

قال عنها ابن كثير: "كانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مؤاخاتهم النساء والمردان، وتُنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال. وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستفادت منه ذلك وغيره، وقد سمعتُ الشيخ تقي الدين يُثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من "المُغني" أو أكثره، وأنه كان يستعدُّ لها؛ من كثرة مسائلها وحُسْن سؤالاتها وسرعة فهمها، وهي التي ختَّمت نساءً كثيرًا القرآن؛ منهن أم زوجتي عائشة بنت صديق، زوجة الشيخ جمال الدين المزِّي، وهي التي أقرأت ابنتها زوجتي أم الرحيم زين، رحمهنَّ الله وأكرمهنَّ برحمته وجنَّته. آمين"[(١)].

"وكانت تصعد المنبر وتعظُ النساء".

خلع عليها أهل دهرها ألقابًا عديدة، وكلها صفات وصلت بها منتهى حدودها[(٢)].

أعجوبة النساء، الأميرة المفسرة للقرآن، زيب النساء، بنت الملك أورنك زيب عالمكير:

هي زيب النساء الهندية "بيكم"[(٣)] ابنة الشاه محيي الدين أورنك زيب عالمكير، سلطان الهند قاتِل الأسُود وخير ملوك الأرض.

وُلدتْ سنة (١٠٤٨هـ)، وتوفيت سنة (١١١٣هـ)، كانت حافظة لكتاب الله مفسِّرة له، وهي المرأة التي تفخر بها النساء؛ إذ هي المرأة الوحيدة التي لها تفسير للقرآن، ويُسمِّى هذا التفسير "زيب التفاسير"، فلله درُّها أميرة ومفسرة! !

قال الأستاذ محمد خير يوسف في "معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر

---

(١) البداية والنهاية (٧٢/١٤).

(٢) عودة الحجاب (٥٩٠/٢).

(٣) يعني: خاتون. وزيب كلمة فارسية معناها "زينة"، ومعنى تفسيرها: زين التفاسير.

الحاضر" لعادل نويهض، الذي ضُمَّتْ محتوياته في مجلدين ضخمين: "لم أر فيه سوى ذكر امرأة واحدة لها تفسير، وهي: زيب النساء بنت الشاه محيي الدين أورنك زيب عالمكير"[(١)].

وكان للأميرة ديوان من الشعر.

١٠ــ العابدات:

وكم من نساء عابدات قانتات صائمات متهجِّداتٍ، تعطَّر التاريخ بذكرهنَّ، وخيرهنَّ أمهات المؤمنين ثم نساء الصحابة.. ولا تكفي هذه الوُرَيْقات لذكرهنَّ[(٢)].

وقد كنت تعرَّضت لهنَّ في "رهبان الليل"، وأفردتُ لهنَّ فصلاً خاصًا بعنوان: "قيام الراكعات الساجدات"، ذكرتُ منهنَّ. معاذة العدوية، وابنة أم حسان الأسدية، ورابعة العدوية، ورابعة الشامية زوجة أحمد بن أبي الحواري، وعجردة العمية، وحبيبة العدوية، وعفيرة العابدة، وعمرة امرأة حبيب العجمي، وجارية خالد الوراق، وشعوانة، وريحانة، ومنيفة بنت أبي طارق، وبردة الصريميَّة، وأم طلْق، وأم حيان، وحسنة العابدة، وزجلة العابدة، وغصنة، وعالية، وغنضكة، وامرأة أبي عمران الجوني، وجارية عبيد الله بن الحسن العنبري، والماوردية، وماجدة القرشية، ولبابة العابدة، وفاطمة بنت عبد الرحمن الحرَّاني، وهنيدة، والبيضاء بنت المفضَّل، وامرأة الهيثم بن جماز، وجوهرة البراثية، وفاطمة بنت بزيع، وعبدة البصرية، وجارية الحسن بن صالح، وذؤابة زوجة رياح القيسي.

وهذه عاتكة المخزومية:

لما عُوتبت في كثرة بكائها قالت: "ما ينبغي للمخوَّف بالنار أن تجفَّ له دمعة،

---

(١) قارئات حافظات لمحمد خير يوسف (ص١٩/ ٤٧ ـ ٤٨)، دار ابن خزيمة.

(٢) بعون الله وتوفيقه أفردت لهنَّ مجلدًا بعنوان: "ثمار الباسقات من حديث الصالحات" للدكتور: سيد العفاني.

حتى يعرف موقع الأمان من ذلك".

لئن كان النساءُ كمـــا ذكرنـــا لفضِّلت النساءُ علـــى الرجـــالِ

وعفيرة العابدة:

تُعاتَب في قلة نومها وكثرة قيامها، فتقول: "ربما اشتهيتُ أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهارًا؟!".

وفاطمة النيسابورية:

تقول: "الصادق المقرَّب يدعو ربَّه دعاء الغريق، يسأل ربه الخلاص والنجاة".

وعائشة بنت سعيد الحِيري:

عابدة نيسابور ومجابة الدعوة: سمعت ابنتها تتكلَّم وهي فرحة ببعض ما لديها، فقالت لها: "لا تفرحي بفانٍ، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عز وجل، واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجل".

وقالت لابنتها: "الزمي الأدب ظاهرًا وباطنًا، فما أساء أحدٌ باطنًا إلا عُوقِب باطنًا".

ومُلَيْكة بنت المنكدر:

تقول: "دعوني أبادر طيَّ صحيفتي".

ولبابة العابدة:

تقول عن لذَّة عبادتها في محرابها: "ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرتُ أستروح بها، وإذا تعبتُ من لقاء الخلق آنسني بذكره، وإذا أعياني الخلق روَّحني للتفرغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته".

ومخة أخت بشر بن الحارث الحافي:

تسأل الإمام أحمد وتدقِّق في مسائل الورع، حتى قال لها: "من بيتكم خرج الورع". كيف لا وهي تسأله: "أنين المرضى شكوى؟" فقال لها الإمام أحمد: "ما سُئلت عن مِثْل هذا السؤال من قبل قطُّ، نرجو ألا يكون كذلك. فلمَّا كان في مرض موته قالوا له:

إن طاووس يقول: إن أنين المرض شكوى. فما أنَّ ابن حنبل حتى مات".

وماجدة القرشية رحمها الله:

قالت: "كفى المؤمنين والمؤمنات طول اهتمامهم بالمعاد شُغلاً".

والسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد:

تقول عنها زينب بنت يحيى المتوَّج: خدمت عمتي فما رأيتها نامت بالليل، ولا أفطرت بنهار، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟ فقالت: "كيف أرفق بنفسي وقدَّامي عقباتٌ لا يقطعها إلا أهل الفوز"[1].

وعصمت الدين خاتون:

زوجة الملك الصالح نور الدين محمد بن زنكي، ومن بعده تزوجها صلاح الدين الأيوبي، قامت ذات مرة غَضْبى من نومها، فسألها نور الدين عن سرِّ غضبها، فقالت: فاتني وردي البارحة، فلم أصلِّ من الليل شيئًا!!

لله درُّها، مثلُ هذه لا تكون إلا تحت نور الدين، ومن بعده صلاح الدين.

فهؤلاء هنَّ أمهاتنا الأوليات، كواكب السَّحر في سماء العظائم، وأروع الغرر في جبين العزائم، وذلك شيءٌ من حديثهنَّ، لا يدع لقائلٍ قيلاً، ولا لمفتخر سبيلاً".

وهذه أخت رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري:

تقول عنها أختها رابعة: دخلتُ على أختٍ لي عاتِق تقرأ في المصحف، فقالت لي: يا أختي، بلغني أن زوجك قد تزوّج عليك؟ قلت: قد كان ذلك. قالت: والله لقد بلغني عنه عقل، فكيف رضي مع عقله بشُغل قلبه عن الله بامرأتين[2]؟! أما بلغك تفسير هذه

---

(١) نساء في المحراب، مجدي فتحي السيد ص٦٥، دار الصحابة بطنطا.

(٢) أفضل الهدي هدي محمد؛ فقد تزوج بأكثر من واحدة ولم يشغله ذلك عن الله، وهذا الأمر يختلف من شخص لآخر.

الآية: {إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٩] قلت: لا. قالت: بلى، القلب السليم الذي يلقى الله وليس فيه غيره.

١١ــ نماذج في علو الهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]:

١ــ أمر أم سليم رضي الله عنها ابنها بأن يقول: "لا إله إلا الله":

أسلمت أم سليم الأنصارية رضي اللّه عنها، فلم يرض بذلك زوجها مالك بن النضر وأبدى عدم ارتياحه لذلك، فلم تُبال رضي اللّه عنها بانطباعاته، بل بدأت تلقِّن ابنهما الشهادتين.

فقد روى الإمام ابن سعد عن إسحاق بن عبد اللّه عن جدته أم سليم رضي اللّه عنها أنها آمنت برسول اللّه ﷺ، فقالت: فجاء أبو أنس وكان غائبًا، فقال: "أصبوت؟".

قالت: ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل.

قالت: فجعلت تلقِّن أنسًا تشير إليه قل: "لا إله إلا اللّه"، قل: "أشهد أن محمدًا رسول اللّه".

قال[٢]: ففعل.

قال[٣]: فيقول لها أبوه: "لا تفسدي عليَّ ابني".

فتقول: "إني لا أفسده"[٤].

٢ــ عرض أم سليم رضي الله عنها الإسلام على زوجها مالك بن النضر:

لم تقف أم سليم رضي اللّه عنها عند إسلامها وتلقين ابنها الشهادتين رغم معارضة زوجها مالك بن النضر، بل عرضت عليه الإسلام.

فقد قال عنها الحافظ ابن عبد البر: "كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك في الجاهلية، فولدت له أنس بن مالك، فلما جاء رسول اللّه بالإسلام أسلمت مع

---

(١) مسئولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دكتور فضل إلهي ص٣١١٢٨.

(٢) قال. لعل الضمير يعود إلى الراوي إسحاق بن عبد اللّه حفيد أم سليم رضي اللّه عنها.

(٣) السابق.

(٤) الطبقات الكبرى (٨/٤٢٥)، وانظر أيضًا: سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٥).

قومها وعرضت الإسلام على زوجها، فغضب عليها، وخرج إلى الشام فهلك هناك"[١].

٣ــ أمر أم سليم رضي الله عنها من تقدَّم لخطبتها بقبول الإسلام وترك الشرك:

مضت مدة على وفاة مالك بن النضر زوج أم سليم رضي الله عنها، فجاء أبو طلحة يخطبها، فأمرته بقبول الإسلام واجتناب الشرك مبينة شناعته وقبحه، كما أبدت موافقتها على الزواج منه إذا دخل في الإسلام.

فقد روى الإمام ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال:

جاء أبو طلحة يخطب أم سليم رضي الله عنها فقالت: "إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا. أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت؟".

قال: فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا.

قال: وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك[٢].

وفي رواية أخرى: أنها قالت: "يا أبا طلحة، ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض، وإنما نجَّرها حبشي بني فلان؟".

قال: بلى.

قالت: أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجَّرها حبشي بني فلان؟

قالت: "فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأزوجك نفسي لا أريد منك صداقًا غيره؟"

قال لها: دعيني حتى أنظر.

قالت: فذهب، فنظر، ثم جاء فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول

---

(١) الاستيعاب في معرفة الصحابة (١٩٤٠/٤)، وانظر أيضًا: تهذيب التهذيب، حيث ذكر فيه الحافظ ابن حجر هذه القصة نقلاً عن الحافظ ابن عبد البر (٤٧١/١٢).

(٢) الطبقات الكبرى (٤٢٧/٨).

اللّه"[١].

وفي رواية عند النسائي: قالت: "واللّه، ما مثلك يا أبا طلحة يُرّد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحلّ لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره".

قال ثابت[٢]: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم رضي اللّه عنها: الإسلام. فدخل بها فولدت له[٣].

ومن الأمور المستفادة مما سبق ذكره عن أم سليم رضي اللّه عنها ما يلي:

أولاً: اعتزازها رضي اللّه عنها بدينها الإسلام. ويتجلى ذلك في قولها لزوجها الأول مالك بن النضر: "ما صبوت، ولكني آمنت بهذا الرجل". وكذلك في قولها لأبي طلحة: "ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك".

ثانيًا: إصرارها رضي اللّه عنها على تلقين ابنها الشهادتين رغم معارضة زوجها. وفي هذا تنبيه لأولئك اللواتي يتساهلن في تعليم أولادهن القرآن والسنة وتربيتهم تربية إسلامية نقية بحجة أن الآباء يريدون غير ذلك.

ثالثًا: مبادرتها رضي اللّه عنها إلى عرض الإسلام على زوجها رغم عدم ارتياحه لإسلامها. وهكذا من أراد الثبات على الحق، والدوام على فعل الخير واجتناب الشر، فليبادر إلى تاركي المعروف وفاعلي المنكر يأمرهم بفعل المعروف وترك المنكر. فإن فعل ذلك يُرجى له من اللّه تعالى العون والنصر والتوفيق والسداد، ولا يُخشى عليه الزيغ

---

(١) المرجع السابق (٤٢٧/٨).

(٢) ثابت: تلميذ أنس رضي اللّه عنه.

(٣) سنن النسائي، مطبوع مع شرح السيوطي وحاشية السندي، كتاب النكاح، التزويج على الإسلام (١١٤/٦)، وكتاب السنن الكبرى، كتاب النكاح، التزويج على الإسلام، رقم الحديث (٢/٥٥٠٤، ٣١٢/٣)، وصححه الشيخ الألباني. انظر: صحيح سنن النسائي (٧٠٣/٢).

والضلال والانحراف.

رابعًا: بيانها رضي الله عنها عقيدة الولاء والبراء حيث وضَّحت أنه لا صلة للمرء المسلم مع المشرك مهما كانت مكانته ومنزلته.

خامسًا: حرصها على إسلام أبي طلحة وتقديرها لذلك؛ حيث أبدت استعدادها للتنازل عن صداقها إذا أسلم، رضي الله عنها وأرضاها.

٤ـــ أمر أم حكيم رضي الله عنها زوجها بالإتيان إلى رسول الله ﷺ وقبول الإسلام:

أسلمت أم حكيم بنت الحارث رضي الله عنها، زوجة عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح، وفرَّ زوجها إلى اليمن، وكان النبي ﷺ قد أمر بقتله لِما كان قد فعله ضد الإسلام والمسلمين.

استأمنت أم حكيم رضي الله عنها النبي الكريم ﷺ لزوجها فلحقت به، وأمرته بالإتيان إلى رسول الله ﷺ وقبول الإسلام. فلم تزل به حتى تحقق بفضل الله تعالى ما أرادت.

فقد ذكر الحافظ ابن عبد البر عنها بقوله: "أسلمت يوم الفتح، واستأمنتْ النبي ﷺ لزوجها عكرمة، وكان عكرمة قد فرَّ إلى اليمن، وخرجت في طلبه فردَّته حتى أسلم، وثبتا على نكاحهما"[(١)].

وقد جاء في بعض الروايات تفصيل ما رغَّبت به زوجها لقبول الإسلام وما حذَّرت به من الإعراض عنه، ومن تلك الروايات أنها قالت له: "يا ابن عم، جئتك من عند

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٣٢/٤)، وانظر أيضًا: المرجع السابق (١٠٨٢/٣)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٣٣١/٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٥٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٢٥/٨).

أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك"[1].

وجاء في رواية أخرى: "فأدركته وقد ركب سفينة فنادته: يا ابن عم، هذا أمان معي من رسول الله ﷺ، فإن تسلم وتقبل أمان رسول الله فأنا زوجتك، وإلا انقطعت العصمة بيني وبينك"[2].

وفي رواية أخرى: "وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها، فتأبى عليه وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة".

وبعد... أيتها المرأة الصالحة: ارفعي عن كاهلك خساسة الهمة، وشمري عن ساعديك وأعلي من همتك، وأقبلي على ربك عز وجل، فإن الدنيا قد قاربت على الانتهاء، واقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون. والله أسأل أن أكون بهذه الرسالة قد أضأت لك لو شيئًا يسيرًا من نور الطريق الموصلة إلى علو الهمة.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه تعالى

عصام بن محمد الشريف

عفا الله عنه

---

(١) تاريخ ابن عساكر (١١/٧٥٥، ٧٥٦).

(٢) المرجع السابق (١١/٧٥٤).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
الحث على الهمة	٨
أسباب انحطاط الهمم	١١
أهم أسباب الارتقاء بالهمة وعلاج العجز	١٨
* **نماذج من علو همة النساء:**	٣٠
١ـ آسية زوج فرعـون	٣٠
٢ـ خديجة رضي الله عنها	٣٣
٣ـ فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ	٣٤
٤ـ الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنها	٣٥
٥ـ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها	٣٦
٦ـ سمية بنت خُباط	٣٧
٧ـ الخنساء التي صاغها الإسلام	٣٧
٨ـ خولة بنت الأزور	٣٨
٩ـ همة الصالحات في طلب العلم والعمل به	٤١
١٠ـ العابدات	٤٦
١١ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٩
فهرست الموضوعات	٥٤